

علمتني الحياة..

الكاتب : محمد مصطفى حمام

التاريخ : 8 فبراير 2015 م

المشاهدات : 7930



عَلَّمَتْنِي الْحَيَاةُ أَنْ أَتَلَقَّى

كُلَّ أَلْوَانِهَا رِضًا وَقَبُولًا

وَرَأَيْتُ الرِّضَا يَخْفَفُ أَثْقَالِي

وَيُلْقِي عَلَيَّ الْمَآسِي سُذُولًا

وَالَّذِي أُلْهِمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ

أَبْدَ الدَّهْرِ حَاسِدًا أَوْ عَدُولًا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ

وَمُزَجَّ إِلَيْهِ حَمْدًا جَزِيلًا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ

لئِمًّا أَلْفَيْتُهُ أَوْ نَبِيلًا

لَسْتُ أَخْشَى مِنَ اللَّئِيمِ أَذَاهُ

لَا، وَلَنْ أَسْأَلَ النَّبِيلَ فَتِيلًا

فَسَحَّ اللَّهُ فِي فُؤَادِي فَلَا أَرْضَى

مِنَ الْحَبِّ وَالْوَدَادِ بَدِيلًا

فِي فُؤَادِي لِكُلِّ ضَيْفٍ مَكَانٍ

فَكُنِ الضَّيْفَ مَوْئَسًا أَوْ تَقِيلًا

ضَلَّ مِنْ يَحْسَبِ الرِّضَا عَنْ هَوَانٍ

أَوْ يَرَاهُ عَلَى النَّفَاقِ دَلِيلًا

فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَسْعُدْ

بها في العباد إلا القليل
والرضا آية البراءة والإيمان
بالله ناصراً ووكيلاً
علمتني الحياة أن لها طعمين
مُراً، وسائغاً معسولاً
فتعوّدتُ حالتَيْها قريراً
وألفتُ التغيير والتبديلاً
أيها الناس كلُّنا شاربُ الكأسين
إنْ علقماً وإنْ سلسبيلاً
نحن كالرّوضِ نُضرةٌ ودُّبولا
نحن كالنَّجمِ مَطْلَعاً وأُفولا
نحن كالريحِ ثورةٌ وسكوناً
نحن كالمُزنِ مُمسكاً وهطولا
نحن كالظنِّ صادقاً وكذوباً
نحن كالحظِّ منصفاً وخذولا
قد تسرّي الحياةُ عني فتبدي
سخریاتِ الوری قَبیلاً قَبیلاً
فأراها مواعظاً ودروساً
ويراها سواي خَطباً جليلاً
أمعن الناس في مخادعة النَّفسِ
وضلُّوا بصائرأً وعقولا
عبدوا الجاه والنُّضار وعینا
من عیون المَهأً وخدأً أسیلاً
الأديب الضعیف جاهاً ومالا
لیس إلا مثرثراً مخبولاً
والعتلُّ القویُّ جاهاً ومالا
هو أهدى هُدىً وأقومُ قبیلاً
وإذا غادة تجلّت علیهم
خشعوا أو تبتلّوا تبتیلاً
وتلّوا سورة الهیام وغنّوها
وعافوا القرآن والإنجیلاً
لا یریدون أجلاً من ثواب الله
إنّ الإنسان كان عجولاً
فتنة عمّت المدينة والقریة

لم تَعْفِ فتيةً أو كهولاً
وإذا ما انبريتَ للوعظِ قالوا
لستَ رباً ولا بُعثتَ رسولا
أرأيتَ الذي يكذِّبُ بالدينِ
ولا يرهبُ الحسابَ الثقيلَ
أكثرُ الناسِ يحكمونَ على الناسِ
وهيهاتَ أن يكونوا عدولا
فلکم لَقَّبوا البخیل کریماً
ولکم لَقَّبوا الکریم بخیلاً
ولکم أعطوا الملحَّ فأغنوا
ولکم أهملوا العفیفَ الخجولاً
ربُّ عذراءِ حرَّةٍ وصموها
وبغیِّ قد صوَّروها بتولا
وقطیعِ الیدینِ ظلماً ولص
أشبعَ الناسَ کفَّهُ تقبیلاً
وسجینِ صَبُّوا علیه نکالاً
وسجینِ مدلِّلِ تدلیلاً
جُلُّ من قلَّدَ الفرنجةَ منا
قد أساءَ التقلیدَ والتمثیلاً
فأخذنا الخبیثَ منهم ولم نق
بسِ من الطیِّباتِ إلا قليلاً
یومَ سنِّ الفرنجِ کذبةَ إبریلَ
غدا کلُّ عُمُرنا إبریلاً
نشرُوا الرجسَ مجملاً فنشرناهُ
کتاباً مفصلاً تفصیلاً

علمتني الحياة أن الهوى سئلُ
فمن ذا الذي يردُّ السيولا
ثم قالت: والخير في الكون باقبل
أرى الخيرَ فيه أصلاً أصيلاً
إن تر الشرَّ مستفيضاً فهوّن
لا يحبُّ الله الیئوسَ الملولاً
ويطول الصراع بين النقيضينِ
ويطوي الزمانُ جبالاً فجبالاً

وتظلُّ الأيامُ تعرضُ لونيها
على الناسِ بُكرةً وأصيلاً
فذلِيلٌ بالأمسِ صارَ عزيزاً
وعزيزٌ بالأمسِ صارَ ذليلاً
ولقد ينهضُ العليلُ سليماً
ولقد يسقطُ السليمُ عليلاً
ربَّ جوعانٍ يشتهي فسحةَ العمرِ
وشبعانٍ يستحثُّ الرحيلاً
وتظلُّ الأرحامُ تدفعُ قابيلاً
فيُردي ببغيه هابيلاً
ونشيدُ السلامِ يتلوه سفاًحون
سَنُوا الخرابَ والتقتيلاً
وحقوقُ الإنسانِ لوحةَ رسامٍ
أجاد التزويرَ والتضليلاً
صورٌ ما سرحتُ بالعينِ فيها
وبفكري إلا خشيتُ الذهولاً

قال صحبي: نراك تشكو جروحاً
أين لحن الرضا رخيماً جميلاً
قلتُ أما جروحُ نفسي فقد عودتُها
بَلَسَمَ الرضا لتزولاً
غيرَ أنَّ السكوتَ عن جرحِ قومي
ليس إلا التقاعسَ المرذولاً
لستُ أرضى لأمةٍ أنبتتني
خُلُقاً شائهاً وقَدراً ضئيلاً
لستُ أرضى تحاسداً أو شفاقاً
لستُ أرضى تخاذلاً أو خمولاً
أنا أبغي لها الكرامةَ والمجدَ
وسيفاً على العدا مسلولاً
علمتني الحياةَ أني إن عشتُ
لنفسِي أعشُ حقيراً هزيباً
علمتني الحياةَ أني مهما
أتعلمُ فلا أزالُ جهولاً

